عزيز لعبان . علي قسايسية فتحية معتوق

محمد بندخان نصر الدين لعياضي

إشراف: مخلوف بوكروح

وسائط الاتصال بين الإرسال والتلقي

ممارسات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر
Usages et réception des produits Médiatiques et Culturels en Algérie

CS Scanné avec CamScanner

الكتاب: وسائط الاتصال بين الإرسال والتلقي

أشغال الملتقى الوطني الأول 10 . 11 ديسمبر 2014

الطبعة الأولى: 2015

رقم الإيداع القانوني: 5768 - 20156

ردمك: 978 - 9931 - 9267 - 0 - 2

مخبر بحث: استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر

كلية علوم الإعلام والاتصال . جامعة الجزائر 3

CS Scanné avec CamScanner

المحتويات

. البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال في المنطقة العربية وأفول الأفق النظري. نصر الدين لعياضي	7
. إشكالية تلقي واستخدام وسائل الإعلام والتواصل في المغرب: المجال السمعي البصري نموذجا. محمد بندحان	35
. سوسيولوجية التلقي بين البؤس والشعبوية: لغز التلقي. فتحية معتوق	43
. إشكاليات التلقي في زمن التكنولوجيات الحديثة للاتصال: رهانات الفهم وبناء المعاني. عزيز لعبان	59
. تلقي الخطاب الجمالي. مخلوف بوكروح	73
إثنوغرافيا جمهور مستخدمي الوسائط الإعلامية والاتصالية الجديدة: رهانات البحوث الاجتماعية النوعية على الخط. علي قسايسية،عبد الطيف بوزير	97
. التلقي: قراءة في المفاهيم الأساسية. حفيظة محلب	117
. دراسة مفاهيمية في نظرية التلقي وسوسيولوجية الاستخدامات. هالة دغمان	141
. تداخل مفاهيم علوم الإعلام والاتصال مع الحقول المعرفية الأخرى: مفهوم التلقي نموذجا. نور الهدى عبادة	157
. المصطلح في علوم الإعلام والاتصال: قراءة في مفاهيم التلقي، التأويل، الاستخدام. سامية مهدي	179

CS Scanné avec CamScanner

المصطلح في علوم الإعلام والاتصال
قراءة في مفاهيم: التلقي، التأويل، الاستخدام

مهدي سامية طالبة دكتوراه

مقدمة

يكتسي تحديد المصطلحات والمفاهيم مكانة هامة في ميدان البحث العلمي حيث يحتاج كل بحث يتناول حقلا من الحقول المعرفية إلى تحديد أولي للمفاهيم والمصطلحات التي يستعملها، خاصة إذا كانت تشكل عنوانا رئيسيا فيه، لان مساءلة البحث ومحاورته تكون وفق التحديد المقترح للمفاهيم والمصطلحات. يولي الباحثون أهمية كبرى للمفاهيم والمصطلحات التي سوف ينطلقون منها في دراساتهم حتى يتمكنوا من فهم وتفكيك الظواهر التي هم بصدد دراستها وتحليلها، وفق الإطار المرجعي الذي تنتمي إليه الدراسة. فما أن يظهر حقل معرفي جديد إلا ويطرح مجموعة من المفاهيم والمصطلحات الخاصة به، يستند إليها الدارسون في بلورة إشكاليات بحوثهم العلمية.

ويعتبر حقل علوم الإعلام والاتصال احد حقول المعرفة الذي يمثل بعدا مهما ومجالا أساسيا في الدراسات الاجتماعية والإنسانية المختلفة ويحمل جملة من المفاهيم والمصطلحات المتنوعة، جاءت نتيجة جهود باحثين ينتمون إلى حقول معرفية متعددة. إن تنوع الأصول التاريخية والفلسفية والفكرية لحقل علوم الإعلام والاتصال يطرح إشكالية تعدد المفاهيم والمصطلحات وتباين معانيها من باحث إلى آخر.

يواجه الدارسون في علوم الإعلام والاتصال في المنطقة العربية مشكلة التباين في نحت المصطلحات والمفاهيم الأساسية التي تؤطر البحوث في هذا الحقل المعرفي. مصدر هذا التباين نابع من الاعتماد الكلي على الترجمة. ويظهر الاختلاف بين المشرق العربي الذي

Scanné avec CamScanner

ينفتح، في الغالب، على الثقافة الغربية عبر اللغة الانجليزية وبين بلدان المغرب العربي التي تعتمد على اللغة الفرنسية.

في ضوء هذه الإشكالية نحاول في هذه الورقة تقديم قراءة نقدية لبعض المفاهيم والمصطلحات في حقل علوم الإعلام والاتصال وسيتم التركيز على المفاهيم ذات الصلة بدراسات الجمهور. وقد وقع اختيارنا على مفاهيم: التلقي، التأويل، الاستخدام، المستخدم، كمحاولة لطرح هذه المفاهيم للمناقشة من خلال رصد إرهاصات ظهورها وظروف نشأتها ثم كيف تم استخدامها من قبل الباحثين واثر ذلك في تطورها وتبلورها تبعا لطبيعة كل مرحلة أو لظروف الإعلامية والاجتماعية والثقافية السائدة في كل فترة من الزمن ما سيؤدي بطبيعة الحال إلى تغيرها للاستجابة ومواكبة وانسجام مع متطلبات كل مرحلة.

التلقي:

ترجع كلمة "التلقي" Réception إلى الأصل اللاتيني Receptio التي تحمل معنى الاستقبال Action de recevoir والقبول.accepter أما دلالتها الجمالية والنقدية فقد ولجت ساحة النقد الأدبي الفرنسي عام 1979 بمناسبة المؤتمر الذي عقد في انسبريك innsbruk من قبل الجمعية الدولية للأدب المقارن تحت عنوان: التواصل الأدبي والتلقي. بحضور المنظر الألماني هانس روبرت ياوس. هذا المؤتمر الذي جاء بعد سنة من ترجمة كتاب Pour une esthétique de la réception من طرف CLAUDE MAILLARD (فؤاد عناني،2013)

ولا يمكننا الحديث عن مفهوم التلقي دون أن نعرج على نظرية التلقي التي ظهرت في ألمانيا بعد ظهور عدة نظريات نقدية سعت "إلى وصف ومقاربة النص الأدبي من زوايا مختلفة ثائرة على المقاربات السابقة. كانت عملية نقد النصوص الأدبية تتم من خلال الكاتب، إلى أن ظهرت المناهج النقدية الحديثة في منتصف القرن العشرين كالشكلانية والبنيوية والتفكيكية وغيرها التي كان لظهورها الأثر البالغ في نشأة التلقي".(علي بخوش،03:2008)

CS Scanné avec CamScanner

لكن هذه التحولات لم تتوقف عند هذا الحد وإنما برزت هناك ملامح توجه جديدة بريادة رولان بارث الذي أعلن عن موت المؤلف حيث شكلت دراسته تحولا هاما في ميدان الدراسات الأدبية عامة والإعلامية بصفة خاصة. وعليه فان "جوهر هذا التوجه يرفع من سلطة القراءة والقارئ ومن ثم إعادة الاعتبار للقارئ خاصة بالعنصر الثالث في العملية الاتصالية أي المتلقي إلى جانب كل من المرسل والرسالة وذلك عن طريق إقامة نظرية خاصة به من خلال العلاقة التفاعلية التي مؤداها إنتاج المعاني ودلالات وتأويلات خاصة به".(مخلوف بوكروح، 05:2004)

وإذا ما حاولنا أن نتتبع مفهوم التلقي من خلال دراسات التلقي بالموازاة مع الدراسات الإعلامية وبصفة خاصة دراسات الجمهور المرتبطة ببعض الأعمال المنجزة في قرابة نصف قرن في حقل دراسات الجمهور نجد أن دراسات التلقي أحدثت تحولا معتبرا في دراسات التأثير التي كانت سائدة آنذاك والتي كانت تقر بان وسائل الإعلام لها تأثير قوي ومباشر وآني عن طريق حقن المعلومات في وعي الجمهور الذي يتسم بصفة السلبية أمام وسائل الإعلام.

تنطلق نظريات التلقي الحديثة من بعض الفرضيات النظرية تتمحور حول نموذج (النص/القارئ) للباحث DANIEL DAYAN، حيث تركز هذه الدراسات على العلاقة التي يمكن أن ينشئها القارئ، المتلقي مع سيرورة تفكيك رموزها وفهم معانيها. .(Daniel dayan,1992:71)

وقد أحدث هذا النموذج طفرة نوعية في دراسات التلقي سواء الأدبية والإعلامية والتي تعرف باسم " بحوث الجمهور الجديدة" التي ظهرت مع بداية الثمانينيات بمقتربات جديدة المنحدرة من الدراسات الثقافية. وعليه فان هذا النموذج ينظر إلى الجمهور على انه ليس سلبيا ولا حشدا، ولكنه جمهور مختلف ونشط. وقد أسهم دارسون في مديان الإعلام والاتصال في تطوير نظرية التلقي وأقاموا عناصر تلاقي بينها وبين نظرية الاستعمالات والإشباعات التي تركز على الدور الذي يلعبه الجمهور في فك رموز الرسائل وإضفاء

CS Scanné avec CamScanner

في سنوات 2000 أجريت تعديلات في الأدبيات السوسيولوجية لتعريف "الاستخدام" الذي توسع لعوامل نفسية، معرفية أو اجتماعية. حيث عرف" الاستخدام" PROULX ET BRETON (2002) على انه" ظاهرة مركبة تترجم بعمل مجموعة وسائط بين العوامل "الفاعلة" والميزورات التقنية ".(Breton et Proulx, 2002:117).

وللذهاب أكثر في التحليل فان DOCQ ET DAEL (2001) وكذا MACHET (2004) اعتبروا "الاستخدام" بانه مجموعة من التطبيقات، وهو شكل خاص لاستعمال بعض "الموارد" وهو مجموعة قواعد مقسمة اجتماعيا بمجموعة مراجع، ومشكلة (مكونة) في الوقت. (Docq et Deal,2001:263)

إن "الاستخدام" يمكن وصفه بالاجتماعي عندما يصبح قابلا للملاحظة من خلال تكراره وتعاوده صلابته.حيث أن مفهوم الاستخدام الاجتماعي تطور خاصة مع سارج بروكس الذي سحل مفهوم الاستخدام" من منظور اجتماعي كما عرف الاستخدامات الاجتماعية على أنها" الأنماط المعبرة من قبل أفراد أو مجموعة أفراد المستقرة نسبيا وأكثر عبر مجموعات اجتماعية واسعة. (boutet et trémenbert, 2009 :21)

ان مفهوم "الاستخدام" يحمل معاني عديدة وكثيرة ويوظف احيانا كمرادف " للاستعمال" أو "الممارسة" وفي بعض الأحيان كمرادف للتملك. ويبين سارج بروكس أن الاستخدام يحيل إلى جملة من التعاريف يتراوح بين التبني والتملك مرورا بالاستخدام، ويقتضي هذا التملك اجتماع ثلاثة شروط أساسية:

1- الوصول والتحكم في الأداة التقنية والمعرفية.

2- الاستخدام المتكرر لهذه التكنولوجيا يفتح فرصا لخلق القرارات التي تولد الجدة والابتكار في الممارسة الاجتماعية.

3- التملك الاجتماعي يفترض أن المستخدمين ممثلين تمثيلا كافيا في وضع السياسات العامة ومعنيين في الوقت نفسه في عملية الابتكار.(proulx,2005:05)

وتميز الباحثة جوزيان جوي بين مفهومي الاستخدام والممارسة حيث تقر أن: "الاستخدام مفهوم محدود وضيق ويعود إلى استعمال بسيط. بينما مفهوم "الممارسة" هو أكثر تفصيل

CS Scanné avec CamScanner

وبهذا يمكننا القول أن هذا النوع من دراسات الاستخدام المنبثق عن تيار سوسيولوجيا الاستخدام فتح الباب من اجل دراسة وصياغة مفاهيم لا الاستخدام، خاصة مع ظهور استخدام وسائل الاتصال الجديدة وتغلغلها في نسيج الحياة والممارسات اليومية للأفراد التي أصبحت تشكل أولوية بحث بالنسبة لمستخدمي هذه الوسائط الجديدة والتي تتعلق باستخدامها وتمثلها في مختلف الأوساط الاجتماعية وضمن الممارسات الثقافية والاجتماعية التي تدخل في نمط الحياة.

IV/ المستخدم:

تحاول المؤلفات العلمية الدفاع على افتراض أن " المستخدم" نشط في علاقته مع النص وفي هذا الصدد تبين الباحثة جوزيان جوي أن "المستخدم يفرض أوامره على التقنية أي على منطق التقنية وكيفية استخدامها".(bourdeloie,2002:02) يتسم مفهوم المستخدم بأنه واسع جدا ويمكن أن يكون له عدة معاني (المستعملين الزبائن، الجهات الفاعلة، النص، القراء، المشاهدين).

ويقترح دومينيك بوليي DOMINIQUE BOULIER أن نأخذ بعين الاعتبار الخصائص التي تمكننا أن نفكك " المستخدم" إلى أربعة أبعاد:

1- المستخدم "مستهلك" لرسائل وسائل الإعلام، يحكم السلوك حسب مبدأ التاجر.

2- المستخدم "مصدر" رأي فردي على سبيل المثال(إدارة المسوح) يعمل المستخدم على بناء الرأي العام.

3- المستخدم "شخص" في الوطن يحمل زمام المبادرة في الساحة المحلية.

4- المستخدم "مواطن" من منظور اجتماعي وسياسي يحمل عدد من التمثلات المتنوعة. (boullier,1994:68-74)

كما تظهر المناهج النظرية المختلفة مكانة ودور "المستخدم" في عملية التفاعل مع تكنولوجيات المعلومات والاتصال.

CS Scanné avec CamScanner

المعاني والدلالات عليها والتي لا تكون بالضرورة نفس المعاني للنصوص التي يبعثها المرسل إليهم.

وانطلاقا من هذا فان الاتجاهات الحديثة في دراسات الجمهور ، تجاوزت النظرة التقليدية التي كانت تهمش الجمهور وتراه سلبيا وذلك بإضفاء صفة الايجابية على المتلقي ومنحه دوره في المشاركة من خلال عمليات الانتقاء التي يقوم بها عند تلقيه للبرامج الإعلامية هذا ما افرز لنا دراسات ساهمت بشكل كبير وكانت دعامة وأساس لظهور مقاربة جديدة في دراسات الجمهور. وتجدر الإشارة هنا إلى أعمال ومساهمات David Morley في بداية الثمانينيات من القرن الماضي، حيث توجه الاهتمام إلى دراسة الجمهور المتلقي ومختلف التأويلات التي ينشئها خلال تلقيه للنصوص الإعلامية.

وقد أعطى هذا التوجه دفعا معتبرا لنظرية الجمهور القوي من خلال التركيز على المعنى النصي ليس كرسائل مزروعة من طرف منتجي الإعلام أو مؤسسات نافذة كما تقول به النظريات الماركسية والماركسية الجديدة، وإنما بالتركيز على الدور الفعال للمتلقي الذي يبني المعنى من الرسائل والتوكيد على سياق التلقي والتخلي على تحليل المدونة وفك الصنوبه Code، encoding، decoding كما كانت تقوم به الدراسات الثقافية من قبل، لصالح سياق المشاهدة". (السعيد بومعيزة،354:2010).

هذا التحليل الذي قدم مساهمة دعمت ميدان الدراسات الثقافية وتحديدا التلقي، حيث اقر بوجود دلائل تبين بان هناك فوارق كثيرة في تفسير النصوص الإعلامية بسبب العوامل الاجتماعية والثقافية المشكلة لنظام الثقافي للدراسات السابقة في مجال الاتصال التي كانت تركز على أن عملية الاتصال تسير في اتجاه واحد : مرسل رسالة . مستقبل.

غير انه توصل إلى نتيجة مفادها أن الاتصال لا يسير في شكل خطي، وإنما يمكن للمستقبل أن يضفي تعديلات جديدة على الرسالة وفق العملية التالية: استقبال . استهلاك . إعادة إنتاج (Stuart Hall,1994,39). وقد شكلت دراسات التلقي بريادة دافيد مورلي، قفزة خاصة بعد الانتشار الواسع الذي عرفته وسائل الإعلام وبصفة خاصة التلفزيون كتكنولوجية

CS Scanné avec CamScanner

التحسين الدلالي لكل ما يريد النص قوله باعتباره إستراتيجية من خلال [illegible] النموذجي ويستنتج " ايكو" تبعا لذلك أن كلا من الكاتب والقارئ إستراتيجيتان [illegible] خلالهما بتحقق ما يسميه" الإشراك النصي" ويخلص إلى أن الكاتب كفرضية [illegible] صورة عن القارئ النموذج".(Umberto Eco,1985: 237)

ولقد أشار الباحثون الغربيون إلى " التأويل" بأوجه مختلفة فمنهم من رأى أنه [illegible] التفسير ومنهم من اعتبره الشرح، وآخر ربطه بالفهم، وهنالك من ضمه إلى الترجمة القادر فيدوح،02:2003)

تاريخيا ارتبط " التأويل" في البداية بمحاولات تفسير أعمال هوميروس والشعراء الاغري ارتبط التفسير بالفيلولوجيا (علم اللغة) وبنقد النص، ثم ارتبطت بإشكالية قراءة النصوص [illegible] والنصوص المقدسة.(محمد مفتاح،90:1990)

وقد ارتبطت نظرية التأويل الحديثة بالمنظر الألماني شليرماخار الذي قدم بداية [illegible] استثمر فيه مختلف الاستخدامات الهيرمينيوطيقية اللاحقة سواء بشكلها الفيلولوجي في ال 19 أو بصبغتها الفلسفية في القرن 20، إذ لم تكن الهيرمينوطيقية قبله سائدة إلا في حد الفيلولوجيا في النصوص الكلاسيكية الإغريقية واللاتينية وفي تفسير النصوص المقدسة إلى مفهوم عام لها بدلا من تلك الاستخدامات المقيدة في حقول معرفية معروفة.(عبد القادر فيدوح،2003: 03)

إن الحديث عن مفهوم "التأويل" يقودنا للحديث عن نظرية " التلقي" التي اهتمت بهذا المفهوم بداية من النصوص الأدبية ثم الاهتمام بالنصوص الإعلامية، حيث تعتبر نظرية التلقي خاصة " ياوس" بتأسيس افتراضاتهم في شرعية إسهام الذات المتلقية في المعنى من خلال آراء الفيلسوف" هانس جورج غادمير" في مفهوم " التأويل وقد تأثر أصحاب نظرية التلقي من الفيلسوف " غادمير" في نظرته إلى التأويل وعمل الفهم الذي يركز على الذات (القارئ) كقوة فاعلة في عملية الفهم والتأويل".(علي بخوش،2008:[illegible]

أما بالنسبة لمفهوم "التأويل" في النصوص الإعلامية فقد لقي هذا المفهوم اهتماما [illegible] بالنسبة للعديد من الباحثين في هذا المجال، إذ يعتبر دافيد مورلي احد الباحثين الذين [illegible]

CS Scanné avec CamScanner

حاولت الدراسة أن تكشف عن أدلة متصلة بالتفسيرات المختلفة لمسلسل دالاس من حي
الفهم والمقدرة النقدية. حيث توصلت الدراسة إلى أن كل جماعة ثقافية قدمت قراءة خاصة
بها. (كريس باركر، 189:2006)

وتأتي الدراسة التي أعدها جوستين لويس Justin Lewis بعنوان
'Decoding televisin news' لتدعم هذا التوجه، فركز الباحث على عملية صنع
المعنى من التلفزيون بدلا من التركيز على القضايا والقيم التي تنقلها النشرة الإخبارية
التلفزيونية، وهذا بإجراء مقابلات فردية مع خمسين مبحوثا ثم قام بمقارنة ذلك بالحصص
المحددة للنشرة الإخبارية؛ وبذلك فهي تهتم بتأويلات المشاهدين لما سمعوا وشاهدوا
بومعيزة،357:2010)

وقد أعطت هذه الدراسات سلطة لمفهوم" التأويل" الذي يتمتع به المتلقي حيث يقوم
بإضفاء معاني ودلالات أي انه قادر على التفسير والتفكيك وبذلك اعتباره متغير مستقل
وأرضية أساسية في عملية تفسير النصوص الإعلامية.

III/ الاستخدام:

كثيرا ما يتكرر توظيف كلمة "الاستخدام" لوصف العلاقة بين الفرد ووسائل الاتصال
المختلفة لاسيما تكنولوجيات الاتصال الحديثة. وقد حشدت فكرة " الاستخدام" منذ ما يقارب
عقدين من الزمن، من قبل عدد كبير من البحوث المكرسة لعلم اجتماع تكنولوجيا المعلومات
والاتصالات، التي بينت أن البحث في استخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصال مثل
موضوع " الاستخدام" أصبح من القضايا النظرية المهمة، ويشار إلى أن هذه الفكرة ظهرت
مع سنوات الثمانينيات مع تكنولوجيا المعلومات والاتصال التي تتميز بالتفاعل وتسليط
الضوء على شخصية المستخدم.

من بين الاستعمالات الأولى لمفهوم " الاستخدام" في سوسيولوجيا الإعلام يعود للتيار
الوظيفي الأمريكي بالقرب من مدرسة كولومبيا في عقود 1960.1970 أراد بعض الباحثين
اخذ مسافة اتجاه التفكير الموحد المهيمن واصفا نشاط وسائل الإعلام بأنه جد استهلاكي و

CS Scanné avec CamScanner

منزلية. مع هذا لا يزال مفهوم " التلقي" يطرح إشكالا ولاسيما في ظل التطورات التكنولوجية الحاصلة، حيث شهدت دراسات الجمهور في بداية العقد الأول من هذه الألفية تطورا اسماه دافيد مورلي بالجيل الثالث من دراسات التلقي في سياق إعادة التفكير في جمهور وسائل الإعلام عوض أن ينظر إليه كفرد سلبي وفعال. حيث خلقت شبكة الانترنت فضاءات اتصال جديدة من خلال وسائل اتصال جديدة والتي تجسد بدورها مبدأ المشاركة الفعالة في العملية الاتصالية من خلال التواصل عبر شبكات ومواقع التواصل الاجتماعي، نوادي المحادثة، تبادل الرسائل الإعلامية والمعلومات فوريا وبصفة تزامنية مستقلة عن المكان أو التموقع الجغرافي الذي يحيلنا إلى فكرة " عالم ما بعد الجمهور" من خلال الممارسات الجديدة التي أصبح مستخدموا هذه الوسائل يقومون بها والغير محددين في حيز وفضاء زمني وجغرافي محدد، أين أصبحوا يتصفون أي بصفة القدرة على التواجد الكلي في كل مكان وزمان ومنحهم الاستقلالية في اختيار وإرسال المضامين التي يريدون وفي الوقت الذي يرغبون.

II/ التأويل:

يقصد بالتأويل في اللغة: مصدر من أول يؤول، وثلاثيه:آل، يؤول وفي اشتقاقه قولان، الأول: أن يكون من الأول، أي: الرجوع فيقال آل الشيء، يؤول أولا ومالا: رجع. أما الثاني: أن يكون مشتقا من الايالة وهي السياسة.(إبراهيم الفهدي، 08:2006)

ولقد خلف لنا التاريخ تصورين مختلفين فتأويل نص ما، حسب التصور الأول يعني الكشف عن الدلالة التي أرادها المؤلف أو على الأقل الكشف عن طابعها الموضوعي، وهو ما يعني إجلاء جوهرها المستقل عن فعل التأويل، أما التصور الثاني فيرى على العكس من ذلك بان النصوص تحتمل كل تأويل. فالتأويل هو" تفاعل مع نص العالم، أو تفاعل مع عالم النص عبر إنتاج نصوص أخرى، فشرح الطريقة التي يشتغل من خلالها النظام الشمسي استنادا إلى قوانين نيوتن يعد شكلا من أشكال التأويل. تماما كما هو الإدلاء بسلسلة من المقترحات الخاصة بمدلول نص ما". أما UMBERTO ECO فيعني بالتأويل "

CS Scanné avec CamScanner

يحصر الاكثر ما الذي تقدمه وسائل الإعلام للأفراد". حيث حاول الباحثون هجر (إبعاد) هذا التمركز واقترحوا تغيير برنامج البحث نحو الاستخدامات " ما الذي يفعله الأفراد مع وسائل الاعلام ".(fatiha cherfa.2011.11). أظهر التيار الوظيفي "الاستخدامات والإشباعات" أن جمهور وسائل الإعلام طرف فاعل ونشط ليس سلبيا يقبل كل ما تعرضه عليه وسائل الإعلام. (محمد عبد الحميد،1997:111)

وقد أدى ظهور هذه النظرية إلى بعث منظور جديد للعلاقة بين الجمهور ووسائل الإعلام ومثلت نقطة تحول في مسار دراسات جمهور وسائل الإعلام من: ماذا تفعل وسائل الإعلام في الجمهور؟ إلى ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام؟.

وفي قراءة لتعريف مفهوم "الاستخدام" في الأدبيات يظهر مفهومين مختلفين حسب الفترات. حيث الفترة ما بين (1980-2000)، حيث ركز مفهوم " الاستخدام اهتمامه على الفرد، وعلى استعماله للأداة. وهكذا عرف(1980) MICHEL DE CERTEAU الاستخدام بأنه (عمليات استعمال . أو إعادة استعمال، كذلك يعني مصطلح الاستخدام الأكثر لإجراءات stéréotypées المستقبلة والمعادة إنتاجها في فوج. ومنذ ذلك الوقت لاحظ كل تعقيدات مصطلح الاستخدام وغموضه ، لأنه في هذه الاستخدامات يجب معرفة" الأفعال". وحسب MEADEL ET PROULX الحديث عن مفهوم "الاستخدام" هو الدخول في تساؤل اجتماعي تقليدي وتسليط الضوء على الفرد".

وعرف الباحث(1994) LA CROIX الاستخدامات الاجتماعية على أنها " طرق استخدام تظهر وتبرز بصورة منتظمة على نحو كاف بحيث يشكل عادات في يوميات المستخدم تفرض نفسها في قائمة الممارسات الثقافية القائمة مسبقا وتعيد إنتاج نفسها وربما مقاومة الممارسات الأخرى المنافسة لها أو المرتبطة بها". (Lacroix,1994,32).

أما الباحث(1997) LE COADIC فعرفه بأنه " نشاط اجتماعي يتحول إلى نشاط اجتماعي، فن العمل، طريقة العمل . هو نشاط يصبح بحكم العادة ممارسة عادية مترسخة في مجتمع معين لكن ليس له قوة القانون، على خلاف الأخلاق، الأعراف والتقاليد، نماذج حياة يتفق عليها معظم أفراد المجتمع " (le Coadic,1997,19).

CS Scanné avec CamScanner

لكن هذه التحولات لم تتوقف عند هذا الحد وإنما برزت هناك ملامح توجه جديدة بريادة رولان بارث الذي أعلن عن موت المؤلف حيث شكلت دراسته تحولا هاما في ميدان الدراسات الأدبية عامة والإعلامية بصفة خاصة. وعليه فان "جوهر هذا التوجه يرفع من سلطة القراءة والقارئ ومن ثم إعادة الاعتبار للقارئ خاصة بالعنصر الثالث في العملية الاتصالية أي المتلقي إلى جانب كل من المرسل والرسالة وذلك عن طريق إقامة نظرية خاصة به من خلال العلاقة التفاعلية التي مؤداها إنتاج المعاني ودلالات وتأويلات خاصة به".(مخلوف بوكروح، 05:2004)

وإذا ما حاولنا أن نتتبع مفهوم التلقي من خلال دراسات التلقي بالموازاة مع الدراسات الإعلامية وبصفة خاصة دراسات الجمهور المرتبطة ببعض الأعمال المنجزة في قرابة نصف قرن في حقل دراسات الجمهور نجد أن دراسات التلقي أحدثت تحولا معتبرا في دراسات التأثير التي كانت سائدة آنذاك والتي كانت تقر بان وسائل الإعلام لها تأثير قوي ومباشر وآني عن طريق حقن المعلومات في وعي الجمهور الذي يتسم بصفة السلبية أمام وسائل الإعلام.

تنطلق نظريات التلقي الحديثة من بعض الفرضيات النظرية تتمحور حول نموذج (النص/القارئ) للباحث DANIEL DAYAN، حيث تركز هذه الدراسات على العلاقة التي يمكن أن ينشئها القارئ، المتلقي مع سيرورة تفكيك رموزها وفهم معانيها. .(Daniel dayan،1992:71)

وقد أحدث هذا النموذج طفرة نوعية في دراسات التلقي سواء الأدبية والإعلامية والتي تعرف باسم " بحوث الجمهور الجديدة" التي ظهرت مع بداية الثمانينيات بمقتربات جديدة المنحدرة من الدراسات الثقافية. وعليه فان هذا النموذج ينظر إلى الجمهور على انه ليس سلبيا ولا حشدا، ولكنه جمهور مختلف ونشط. وقد أسهم دارسون في ميدان الإعلام والاتصال في تطوير نظرية التلقي وأقاموا عناصر تلاقي بينها وبين نظرية الاستعمالات والإشباعات التي تركز على الدور الذي يلعبه الجمهور في فك رموز الرسائل وإضفاء

CS Scanné avec CamScanner

وقد اختلف الدارسون في تعريف المستخدم. انطلق تيار "الاستخدامات والاشباعات" من تيار ما الذي يقطه الجمهور مع وسائل الإعلام فهذا الاتجاه قدم الجمهور على انه فاعل حيوي، الذي يحدد ويصفي الرسائل التي تعرض عليه فالجمهور يساهم بنشاط في التكوين الرمزي والإيماني للرسائل. وركز تيار الحتمية التكنولوجية: على الدور الذي تقوم به التكنولوجيات في تحديد تنظيم وعمل المجتمع، وبالنسبة لهذا التيار فان للتكنولوجيات آثار على الوسط الاجتماعي الذي تتطور فيه، فإذا لم تتوافق الاستخدامات مع نظرة المتلقين فان تصرفات المستخدمين تقدم بشكل غير وظيفي.

على خلاف تيار الحتمية التكنولوجية ظهرت أعمال أخرى من بينها J.BERRIALT حيث مثلت هذه الأعمال المستخدم بمنتج التكنولوجيا وبينت دوره المستقل في تطوير "الأنظمة التكنولوجية " إنشاء أو خلق الاستخدام هو شكل من الحديث بين الشخص الحامل لمشروعه والآلة الموجهة لمرسلها الأول، المستخدمين ينتهون بالاستقرار،الشيء الذي يعني بان النقاشات وجدت نقطة التوازن".(cherfa,2011:17-18)

يعود هذا المفهوم ليطرح مع التطورات التكنولوجية التي أحدثتها شبكة الانترنت وتكنولوجيا البث عبر الأقمار الصناعية وتكنولوجيا الحواسب الالية والتكنولوجيا الذكية والخلاقة، التي ألغت كل الحدود والحواجز والفواصل الزمنية والمكانية التي كانت تعترض وصول الرسائل الإعلامية لأفراد المتلقين مع وسائل الإعلام القديمة Old Media لتفرز لنا نوع من السرعة الفائقة والجودة في السعة والتخزين والاسترجاع أثناء بث واستقبال المعلومات والرسائل الاتصالية، وتضفي صفة الشمولية (Globality) و(Ubiciuty) القدرة على التواجد الكلي في كل مكان وزمان. (علي قسايسية،2006: 38)

والواقع أن مسألة حرية الجمهور واستقلاليته في اختيار من بين عدد كبير من الوسائل والرسائل الجديدة دفع البعض إلى التحدث عن نهاية مصطلح "الجمهور" التقليدي Audienceواستبداله بمصطلح Users لاسيما بعد التطورات التكنولوجية الحاصلة مع نهاية القرن العشرين وبداية الألفية الجديدة وبصفة خاصة خدمات الويب وظهور ما يعرف بالجيل

CS Scanné avec CamScanner

والذي يعطي ليس فقط استخدام التكنولوجيات (الاستخدام) لكن كذلك اتجاهات وتصورات أو تمثلات الأفراد التي تعود بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالأداة.(jouet,1993:05)

وقد تم توظيف مفهوم " الاستخدام " في حقل سوسيولوجيا الاستخدامات الذي يعرف تيار بحثي يبتعد عن تيار الحتمية التكنولوجية الذي يقوم على فكرة القوة الكبيرة والخرافية لتكنولوجيات وترى بأنها قادرة على إحداث التغير الاجتماعي إذ يمكن التفكير بان تكنولوجيات معينة تولد استخداما واحدا فقط.

اهتم هذا التيار بدراسة العلاقات الاجتماعية والتقنية التي تنشا بين الأفراد والأشياء التقنية، وافرز لنا العديد من دراسات استخدام وسائل الإعلام وتكنولوجيات الاتصال التي شهدت هي كذلك بدورها تحولا في مسار الدراسات شبيها بالنقلة والتحول الذي عرفته سوسيولوجيا وسائل الإعلام الجماهيري في فترة الخمسينيات من القرن الماضي من تحليل الآثار إلى تحليل التلقي، بحيث وجهت اهتمام دراساتها من التركز على التقنيات إلى التركيز على الاستخدامات والمستخدمين.

وفي هذا المجال تبين الباحثة جوزيان جوي مسار دراسات الاستخدام في فرنسا في سنوات الثمانينيات بداية مع الدراسات التي أجريت على Le Minitel الاستخدامات اليومية لتقنيات (الهاتف، الكومبيوتر...) وغيرها من التقنيات حيث بينت إن الاستخدامات التي ركز عليها الملاحظون قد تم إبعادها، بعد ذلك تسير الدراسات إلى دعم الاستخدامات وتجاوز المصممين وتشير إلى انه في ذات الوقت الذي نشر فيه الباحث ميشال دوسيرتو مؤلفه "ابتكار الحياة اليومية، فنون الأداء العملي " 'invention du quotidien :Arts de faire ' ، " تسليط الضوء على الحيل والتكتيكات التي يقوم بها المستخدمون في طريقة استعمال المنتوجات المفروضة من طرف النظام الاقتصادي المهيمن".حيث قام دوسيرتو بتحليل الفارق بين الاستخدامات المبتكرة والاستخدامات الملاحظة طارحا فكرة وجود عالمين.عالم الإنتاج وعالم الاستهلاك والاستخدام. (proulx,2005 :04)

CS Scanné avec CamScanner

بهذا المفهوم في أنموذجه" التفاعل وتأويلات النصوص الإعلامية" الذي ساد في الثمانينيات من القرن، حيث تغيرت الاعتقادات السائدة عن توجهات البحث من : ماذا تفعل وسائل الإعلام في الجمهور؟ إلى ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام؟ من خلال ما توصل إليه Katz من خلال أنموذج الاستخدام والإشباع.

وأصبح لك لمفهوم "التأويل" أهمية في هذه الدراسات حيث أصبح المتلقي يملك القدرة على التأويل والتفسير وتفكيك رموز الرسائل الإعلامية التي يتلقاها.

ونجد أن دافيد مورلي قد تبنى نموذج " التشفير وفك التشفير" المنحدر من الدراسات الثقافية لباحث ستيوارت هول والتي تنطلق من التركيز على النص في حد ذاته ومختلف التأويلات التي يقدمها الفرد لمختلف النصوص مما يقر بان هناك اختلافات في التأويل وتفسير الرسائل الإعلامية، ويعتبر رسائل البرامج التلفزيونية مجموعة من النصوص المعقدة التي يشارك المتلقي في فك رموزها وتشكيل معانيها.

وقد انطلقت عدة دراسات في هذا الصدد نذكر منها: تلفزيون العائلة Family Télévision: قام بهذه الدراسة الباحث دافيد مورلي، واشتملت هذه الدراسة على 18عائلة انجليزية مكونة من شخصين بالغين وطفلين؛ ينتمون في اغلبهم للطبقة العاملة وهم الملاحظين والمستجوبين. كانت هذه الدراسة تهدف إلى اكتشاف مختلف التأويلات التي تحدث بين أعضاء العائلة أمام جهاز التلفزيون والتي تأتي في سياق المشاهدة.(ميشال وأرمان ماتلار،166:2005)

تشكل الدراسة التي قام بها الباحثان كاتس والبابس Katz and liebes على مسلسل "دالاس" نموذجا حيا لهذا التوجه البحثي. تعد هذه الدراسة مثالا رمزيا لتطور دراسات الجمهور حيث جمعت بين فروع مختلفة كالاستخدامات من جهة وتأويل النصوص من جهة أخرى، فقد اعتمد الباحثان على منهجية المقارنة لمجموعات عرقية مختلفة (عرب، إسرائيل، المهاجرون الروس، مهاجرون مغاربة، Kubboutz) كانت تشاهد المسلسل.

CS Scanné avec CamScanner

Mouriel,C et Proulx,S." l'usager en chiffres,l'usager en actes"Actes de colloque Paris de sociologie .Paris,1993

Jean,moeglin, pierre "usages de la notion d'usages:NTIC et discours universitaires au Québec en France" . societé francaise des science de l'information et de la communication. 1992.

Yves." usages et usagers de l'information".Paris,ADBS,1997.

serge." Penser technologies de l'information et de la communication aujourdhui".enjeux,modèles,tenances. Presse universitaire des bourdeaux.2005.

3- الرسائل والأطروحات:

21- الفهدي،إبراهيم (2006) التأويل النحوي في الحديث الشريف.شهادة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة بغداد، العراق.

22- قسايسية، علي (2006) المنطلقات النظرية والمنهجية لدراسات التلقي. شهادة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر.

4- المقالات والأبحاث العلمية:

23- بخوش، علي،مجلة قراءات، العدد1(2008)1.منشورات وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها.

24- فيدوح، عبد القادر، نظرية التأويل في الفكر العربي(2003)، مقالات منشورة جامعة البحرين.

25- عناني، فؤاد، قراءة في مقال " مصطلح التلقي بين الأصل والظل"، زيارة في: 2014/10/19 مقال منشور على الانترنت:-http://www.a7walmasr.com/show 17240.html

CS Scanné avec CamScanner

الثاني للويب "web2.0"، الذي افرز بدوره مجموعة من التطبيقات الحديثة التي تندرج تحت ما يسمى "شبكات التواصل الاجتماعية" والتي أضفت خصائص جديدة على الشبكة بالنظر إلى تعميق الجوانب الاجتماعية والاتصالية وكذا تفعيل دور المستخدم وتوسيع صلاحياته، وباعتبار المصطلح "Users" يتجه مباشرة بالمعنيين بالتواصل مع هذه المواقع والجمهور الفعلي لها، وباعتبار انه يتصل مباشرة بالأفراد الذين يقومون بالفعل بتغطية الأحداث والتعليق عليها وباعتبار العلاقة بين الجمهور والوسائل الجديدة لم تعد قائمة على تلقي بمعناه الكلاسيكي عبر (المشاهدة، الاستماع ،القراءة) بل على الاستخدام النشط عبر سلسلة لا متناهية من العمليات (التعليق، النشر إعادة نشر موضوعات على صفحات الشبكات، المسح ... وغيرها من الأنشطة.

خاتمة

على الرغم من أن حقل دراسات الجمهور يحفل بمفاهيم عديدة ومتنوعة، والتي عكف الباحثون الغربيون على اكتشافها ونحتها ثم البحث مليا في تطويرها حاولنا أن نقدم بعض المفاهيم للنقاش والخاصة بمجال التلقي والاستخدام والتي أصبح لزاما علينا الاهتمام بنحت معانيها في سياقنا لأنها تؤطر لفهم وتفسير سلوكيات الأفراد في تعاملهم مع وسائل الإعلام سواء الكلاسيكية منها أو الجديدة، ونأمل أن تحظى هذه المفاهيم والمصطلحات باهتمام الدارسين في جامعاتنا بصياغة الأطر المعرفية والمفاهيمية والمنهجية التي تمكننا من فهم ظاهرة جمهور وسائل الإعلام والاتصال في ظل التطور التكنولوجي المتسارع.

المراجع

1. الكتب العربية:

1- ايكو، امبرتوا (2004)، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، تر: السعيد بنكراد، ط2. لبنان، بيروت: دار البيضاء.

CS Scanné avec CamScanner

2- ديركز ، كريس، (2006) التلفزيون والعولمة والهويات الثقافية، تر: علا احمد صلاح، ط1.

3- بوكروح مخلوف (2004) التلقي والمشاهدة في المسرح. الجزائر: مؤسسة فنون وثقافة.

4- السعيد بومعيزة، عزي عبد الرحمان(2010) الإعلام والمجتمع: رؤية سوسيولوجية مع تطبيقات على المنطقة العربية الإسلامية، الجزائر: دار الورسم.

5- عبد الحميد، محمد (1997): دراسات الجمهور في البحوث الإعلامية، ط1، مصر، القاهرة: دار عالم الكتب.

6- ماتلار،ميشال، أرمان، (2005) تاريخ نظريات الاتصال، تر: نصر الدين لعياضي والصادق رابح ط3، بيروت.لبنان: المنظمة العربية للترجمة، مصر، القاهرة: مجموعة النيل العربية.

7- مفتاح، محمد (1990) مجهول البيان، ط1، المغرب: دار توبقال.

2. الكتب الأجنبية:

8- Hall,stuart," codage- décodage" n8.cent,1999.

9- Boulier,dominique," construire le téléspectateur:recepteur ,consomteur ou citoyen ?".Rennes,ed:A pogée,1994.

10- bourdelire Hélène, " Retour sur quelques notions – clè de la sociologies des usages des tic".le cas des cédéroms de musèe, france, 2002.

11- Boutet, Annabelle et Trèmenber, jocelyune," Mieux comprendre les situtions de non- usages des tic:le cas d'internet et de l'informatique, vol 5,2009.

12- Breton,p et Proulx,s," usages des technologies de l'information et de la communication, l'explosion de la communication à l'aube du xxi eme siécle,edution la decouverte,2002.

13- Cerfa,fatiha,"l'usage des réseaux sociaux au bureau:ver un glissement de la sphère privèe dans la sphère professionnelle : le cas de facebook chez les employèe de la bibiothèque de science ,Grenoble (UJF).2011.

14- Dayan,daniel," la recharche du public reception,télévision,médias,hermés,n11-12,1993.

15- Docq,f et Deal, A," uses of ICT talk for CSCL:how do student make as their own the designed environment?,2001.

16- Jouet,josiane,"usages et paratiques des nouveaux outils",dans SFEZ lucien (ed) 1993.

CS Scanné avec CamScanner